الإشعاع العلمي والاقتصادي لقبائل الصحراء وبلاد السودان الغربي .

خلال القرن الثامن عشر ميلادي ومطلع القرن التاسع عشر.

أ.علي زين العابدين

جامعة أدرار

الصحراء الإفريقية الكبرى وبما فيها الصحراء الجزائرية تعتبر قلب العالم نظرا لما تحتله من موقع استراتيجي مهم، حيث شد الأوروبيين توسطها للعالم فعمد الأوروبيون مع الحملات الاستعمارية خلال القرن الثامن عشر إلى محاولة كشف أسرارها والخوض في معرفة فيافيها، باعتبار أن الصحراء ظلت عدة قرون مجهولة، حيث أن الرحالة القدامى لم يقدموا إلا معلومات ضئيلة جدا مثل الإغريق والرومان، فمن المعروف أن الرحالة العرب المسلمون هم الذين ذكروا معالمها وظروفها السياسية والحضارية.

Résumer :

Le Grand Sahara africain, y compris le Sahara algérien, est considéré comme le cœur du monde en raison de sa position stratégique. Les Européens, au cours du XVIIIe siècle, ont tenté de dévoiler leurs secrets et d'explorer leurs connaissances. Que les voyageurs antiques aient fourni très peu d'informations comme les Grecs et les Romains, on sait que les voyageurs arabes musulmans sont ceux qui ont mentionné ses caractéristiques et ses conditions politiques et culturelles.

مقدمة: امتازت الفترات الاستعمارية في القارة الإفريقية بمحاولات عديدة لتنفيذ السياسات الكثيرة الرامية لنشر مخططات ثقافية واقتصادية وسياسية قصد الحصول على الثروات المختلفة، كما أن سياسة إرسال السكان الأوروبيين من أهم العوامل التي أبانت عن النوايا الحقيقية للاستعمار الأوروبي في القارة، فالتطور والحداثة والعيش الملائم وتوفير كل متطلبات الحياة الضرورية عوامل كانت من حق الأوروبيين فقط، ولم يتحقق للشعوب المستعمرة إلا الاضطهاد والحرمان من جراء الحروب، ولعل الخوض في الحديث عن امتداد الاستعمار في جنوب الجزائر لم يكن بغرض الاستحواذ على الثروات الباطنية الطبيعية فقط بل تعداها الأمر إلى محاولة اكتشاف ودراسة العلاقات المترابطة بين القبائل في منطقة الجنوب ودول الساحل، فما شهدته المنطقة من نشاط سياسي وفكري وديني وتجاري عبر التاريخ هو إبانة صريحة عن الامتداد الحضاري والفكري بين قبائل ومجتمعات الجنوب وحواضر إفريقيا في السودان الغربي وموريتانيا وغيرها في السودان الأوسط والشرقي، فرغم الطبيعة الجغرافية القاسية والتي تمتد عبر صحراء كبرى تتطلب الكثير من الصبر والمعرفة بفيافيها إلا أن النشاط التجاري والعلمي عرف أوجه بين ضفتي الصحراء في القرون السابقة لاسيما خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

الرحلات في إفريقيا بين التجارة والاكتشاف: في القرن التاسع عشر وعلى خطى الأسلاف في القرون الغابرة أقدمت مجموعات كبيرة من السكان في إفريقيا على تفعيل الحركة التجارية وكذا الهجرة عبورا بمناطق الجنوب الجزائري رغبة منهم في اكتشاف النمط المشرق من الحياة الغربية الواعدة بالنسبة إليهم، وكان ذلك مرورا بصحراء الجزائر وباقي دول المغرب العربي، ففي الجنوب تعتبر كل من تمنراست ومنطقة توات بأدرار أحد أهم مراكز العبور ، منها من القبائل التي استقرت به ومنها من واصل نحو الشمال طمعا في الهجرة نحو أوروبا، غير أن ما شهدته العلاقات الدولية من تحولات

وأحداث تاريخية متسارعة نتيجة تزايد الأطماع الأوروبية الاستعمارية أفضى إلى تدهور الحياة الإجتماعية والثقافية الاقتصادية والأمنية أكثر فأكثر داخل تلك الدول بعد ما كانت تتسم بالتناغم الفكري والمعرفي.

باعتبار أن الصحراء ظلت عدة قرون مجهولة، حيث أن الرحالة القدامى لم يقدموا إلا معلومات ضئيلة جدا مثل الإغريق و الرومان، فمن المعروف أن الرحالة العرب المسلمون هم الذين ذكروا معالمها وظروفها السياسية والحضارية في كتبهم أمثال ابن حوقل* في القرن العاشر ميلادي والبكري** في القرن الحادي عشر وكذلك ابن بطوطة*** الذي توغل داخل السودان في رحلته الثالثة.

ماهية الصحراء: أغلب التعريفات في المراجع والكتب تذهب إلى أن هناك صعوبة في تعريف الصحراء حيث تم الاتفاق على مبدأ أنها منطقة جافة ، ويرتبط التعريف كذلك بأنها الأقاليم التي تفتقر إلى الحياة النباتية والحيوانية لكن ليس بمعنى الافتقار التام بل توجد هناك حياة تتسم بالصعوبة وقساوة المناخ[1].

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع نفسه، ص: 61.

* ابن حوقل: هوأبو القاسم محمد بن حوقل او محمد بن علي النصيبي أو النصيبيني (367 هـ/ 977 م) (ولد في نصيبين في شمال شرق الجزيرة الفراتية ضمن الحدود التركية اليوم) كاتب وجغرافي ومؤرخ ورحالة وتاجر مسلم من القرن العاشر للميلاد .من أشهر أعماله «صورة الأرض» عام 977، المعلومات القليلة المتوفرة عن ابن حوقل مستخلصة من كتابه الذي كان مراجعة وتطويرا لكتاب «مسالك الممالك «للإصطخري(521) ، والذي كان بدوره مراجعة لكتاب «صور الأقاليم «لأحمد بن سهل البلخي .(921) كان ابن حوقل أكثر من محرر، فقد كان رحالة يمضي وقتا طويلا في الكتابة عن المناطق والأشياء التي يراها. أمضى آخر 30 عاما من حياته مسافرا إلى مناطق نائية في آسيا وأفريقيا .حطت به إحدى رحلاته 20 درجة جنوب خط الاستواء على الشاطئ الشرقي لأفريقيا. من ملاحظاته عن تلك المنطقة هو وجود عدد كبير من السكان، على عكس ما كان يعتقد الإغريقيون.

**البكري: بو عبيد البكري هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، نسبه عربي يرجع إلى قبيلة بكر بن وائل أكبر قبائل ربيعة في شبه جزيرة العربية، جغرافي وموسوعي وأديب ونباتي عربي أندلسي، ولد في ولبة قرب اشبيلية حوالي عام 1030م وتوفي في قرطبة عام 1094م اشتهر في القرن الحادي

يبدو أن الصعوبة التي وجدها الرحالة والمفكرون في تعريف الصحراء نابعة من الصعوبات التي تنفرد بها تضاريس الصحراء وجغرافيتها التي تنفرد بها عبر المعمورة، فالجفاف عتبر ظاهرة جيولوجية واضحة للعيان بحكم ندرة التساقط و الوديان ومصادر المياه ماعدا منها الباطنية التي يختلف وجودها من بقعة إلى أخرى ، لكن ما تتميز به الصحراء هو التنوع من حيث الغطاء النباتي الذي يظهر بعض المناطق على أنها جنة خضراء فوق الأرض وهو ما يدهش حقا ويدعو الباحثين للبحث بل يدفعهم للبحث أكثر فأكثر في سر الصحراء المدهشة .

الزبيدي في كتاب تاج العروس وابن المنظور في لسان العرب عرفا الصحراء بأنها ((المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل أنها الفضاء الواسع)).[1]

عشر الميلادي، وهو أول الجغرافيين المسلمين في الأندلس .قيل إن ملوك الأندلس كانوا يتهادون كتبه، في عام 1949 م أطلقت وكالة الفضاء الأميركية ناسا اسمه على فوهة من فوهات القمر تقديرا لإسهاماته المتميزة في حقل الجغرافيا يعتبر أبو عبيد البكري، أكبر جغرافي أنجبته الأندلس، فقد ألّف كتابين جليلين في الجغرافية أوّلهما "معجم ما استعجم "أورد فيه جملة مما ورد في الحديث والأخبار، والتواريخ والأشعار، من المنازل والديار، والقرى والأمصار، والجبال والآثار، والمياه والآبار، والدارات والحرار، منسوبة محدودة، ومبوّبة على حروف المعجم مقيّدة ؛ أما كتابه الثاني فهو "المسالك والممالك" وصف جغرافية الأندلس وأوروبا، وأفريقيا الشمالية .وله في علم النبات : كتاب أعيان النبات والشّجريّات الأندلسية.

***ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بَطُّوطَة ولد في 24 فبراير– 1304 1377 م بطنجة هو رحالة ومؤرخ وقاض وفقيه مغربي أمازيغي لقب بأمير الرحالين المسلمين .خرج من طنجة سنة هـ فطاف

بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وتهامة ونجد والعراق وفارس واليمن وعمانوالبحرين وتركستان وماوراء لنهر وبعض الهند والصين الجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا .وإتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم – وكان ينظم الشعر – واستعان بهباتهم على أسفاره.

[1] إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب،1983، ص: 13.

أما ابن شميل: ((الصحراء من الأرض، مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا أكام، ولا جبال ملساء))، وجمع صحراء حسب ما قاله ابن سيده: سحروات وصحار ، كما قال الجوهري: صحاري وصحراوات.[1]

وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : قوله ((فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك))، وصحراء مؤنث الصفة، ويقال أصحر، أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة.[2]

الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية: ينحصر الإقليم الصحراوي الشرقي بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصحراوي شمالا، وتونس وليبيا شرقا ،و النيجر وهضبة تادمايت غربا كما يمكن كما يمكن تحديد هذا الإقليم من ناحية الغرب بخط طول 3° شرقا المار بالجزائر العاصمة .

في حين يحدد الإقليم الجنوبي الغربي بمعالم طبيعية واضحة يتمثل في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا وهضبة تادميت شرقا وكل من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غربا وجنوبا[3].

تضاريس الصحراء: يتميز سطح الصحراء الجزائرية عموما بالرتابة و الاستواء غير أن القسم الشرقي منه يتميز بتعقيد أشد من القسم الغربي، وتبدوا مظاهره أكثر تباينا تميزه الصخور البركانية القديمة [4].

[1] إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص:13.
[2] المرجع نفسه، ص: 13.
[3] أعشى مصطفى، نماذج من التواصل الحضاري بين شمال إفريقيا و الصحراء الكبرى خلال عصور ماقبل التاريخ، معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس،الرباط، ص: 12 .
[4] أعشى مصطفى، مرجع سابق، ص: 12.

نطاق المنخفضات: تتواجد في الشمال الشرقي أبرزها منخفض ملغيغ بـ (32م)تحت مستوى سطح البحر كما تنتشر في هذه المنطقة أهم واحات الجزائر منها وادي سوف ووادي ريغ والزيبان [1].

المرتفعات والهضاب: تنتشر فيها من الجنوب الشرقي جبال الأهقار وأعلى قمة بها هي "تاهات" ويقارب ارتفاعها 3000 م كما توجد هضبة التاسيلي التي تمتد على مساحة شاسعة ، أما من ناحية الجنوب الغربي تتميز بمرتفعات تدعى (القلائد) تتألف من تلال لايفوق ارتفاعها 4000م،إضافة إلى سلاسل جبلية قديمة تمتد على جانبي واد الساورة [2] .

السهول: تتمثل في سهول وأراضي واسعة يشغلها العرق الشرقي الكبير* ،أما العرق الغربي الكبير فهو من الناحية الغربية الجنوبية [3].

جيولوجيا الصحراء: تشكل المنطقة الصحراوية ثلاثة أرباع المساحة الكلية للجزائر أي 2مليون كلم مربع، وتتألف المنطقة الصحراوية من صخور أركية نارية معظمها من الغرانيت * ومن الصخور المتحولة من النيس والشيست.

مرت الصحراء الجزائرية بفترات متعددة تتعلق بالتكوين الجيولوجي، فاعتبار أن الصحراء تتميز بالصلابة فهي قاومت الحركات الإلتوائية مما أدى إلى تكوين الجبال، أما عن المراحل فهي:[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص: 15.

[2] حليمي عبد القادر، جغرافيا الجزائر (طبيعية ، اقتصادية، بشرية)،ط1،الجزائر ،1968،ص ص: 56-57.

* العرق الشرقي الكبير: عبارة عن كثبان رملية تغطي العرق.

[3] حليمي عبد القادر، مرجع سابق، ص:57.

[4] حليمي عبد القادر، مرجع سابق، ص:59.

* الغرانيت: عبارة عن صخر ناري جوفي تكون تحت درجات حرارة عالية. يتشكل الجَرَانِيت أساسًا من ثلاثة معادن . المرو وسليكات الألومنيوم القلوي والبلاجيوكلاز. وتجعل هذه المعادن الجرانيت أبيضً أو قرمزيًا أو رماديًا فاتحًا. ويحتوي الجرانيت أيضًا على كميات قليلة من المعادن البنية الداكنة أو الخضراء الداكنة أو السوداء مثل ميكا الهورنبلند والبيوتيت. وتتميز حبيبات المعادن في الجرانيت بالضخامة بحيث يمكن التفريق بينها بسهولة. ويبلغ عرض كثير من الذرات 0,5سم .

1) العصر الميزوري**غطى البحر بمياه الصحراء الكبرى.
2) انحصرت مياه البحر عن الصحراء في العصر الفحمي***.
3) عادت مياه البحر إلى الصحراء في الفترة السنومائية ****.
4) في عصر الأيوسين تراجع البحر تماما مما سمح بتشكيل وتكوين رواسب قارية .
5) في العصور الحديثة تشكلت الرواسب الرملية السامية التي ملأت المنخفضات والأودية الجافة فوق الصخور النارية الأركية القديمة، وهو ما جعل المياه تتجمع في جوف الأرض على هيئة ينابيع انتجت في عصرنا الحالي الواحات .

نباتات الصحراء: باعتبار أن متوسط الأمطار يقل عن 200 ملم سنويا والتربة الخصبة نادرة بسبب الرمال المتحركة المنتشرة عبر الصحراء أو بسبب الطبقة الصخرية التي تكسو التربة (الحمادة) ، دون إغفال الملوحة التي لا تساعد على نمو النبات، تعتبر النباتات في هذه المناطق من حيث الأصناف محدودة وفي بعضها منعدمة وتسمى (تنزوف).

طبيعة التركيبة البشرية لسكان صحراء الجزائر:

حسب العديد من الدراسات التي اطلعنا عليها يمكن الاتفاق على أن تاريخ الصحراء يبدو بسيطا غير أن الواقع يصور عكس ذلك فالدراسة المعمقة والواسعة تظهر مدى تناغم الصحراء بحكم مجموعة من العوامل المؤثرة من الشمال بدأ بالقرطاجيون ثم الرومان مرورا بالعرب وأخيرا الفرنسيون ،أما من الجنوب سكان النيجر، من الشرق ليبيون ومصريون ، من الوسط برابرة الهقار، من الغرب المغاربة

سكان الصحراء الجزائرية : استقرت بالصحراء الجزائرية مجموعتان عرقيتان هما العرب والبربر حيث تعتبر الأولى متجانسة أما الثانية فتنقسم بدورها إلى عدة عناصر يمكن تصنيف مجموعتين أساسيتين بالنسبة للبربر:

الأولى رضخت للسيطرة العربية، عاشت وتعيش على زراعة الواحات لحسابها الخاص ولحساب أصحابها.

المجموعة الثانية (الطوارق)* ميزتها الجرأة وحب الحرب و القتال تمركزت بمناطق في الغالب يصعب الوصول إليها [1].

الموقع الجغرافي لدول الساحل والتضاريس :

تمتد في الصحراء ثلاث سلاسل كبيرة من الجبال الصخرية، سلسلة أغلب في الغرب وهي تمثل امتدادا نحو الشرق لمرتفعات موريتانيا وسلسلة جبال الهقار وتمثل سلسلة جبال وسط الصحراء حيث تتفرع عنها جبال ادرار وايفورا في الجنوب الغربي وجبال آير في الجنوب الشرقي، سلسلة جبال تيبستي التي تمتد في الشرق على الحدود بين ليبيا وتشاد.[2]

أصل التسمية و الموقع لبلاد الساحل: مصطلح بلاد الساحل يعنى به المنطقة التي كان يطلق عليها في العصور الوسطى اسم بلاد السودان أي الأقاليم شبه الصحراوية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى والتي انتشر فيها الإسلام، حيث أطلق عليها مؤرخو وجغرافيو اليونان و الرومان لاسم نيجريتا نسبة إلى نهر النيجر، أما المؤرخ الروماني بليني سماها نيل الأجناس السوداء، ثم أطلق العرب عليها اسم السودان وأحيانا كانوا يطلقونه على كل إفريقيا[3].

[1] Pottier René, sahara, France, 1950,p:30.

[2] اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م، ص: 14.

[3] مولاي محمد، العلاقات العلمية بن توات وبلاد الساحل الإفريقي (خلال القرنين 11-12هـ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية ،قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة السانيا وهران 2014/2013م ،ص: 34.

كان مصطلح السودان يطلق على كامل أراضي إفريقيا جنوب الصحراء خاصة العرب الذين يعرفونها ببلاد السودان لكن اليوم تعرف به منطقة السودان أو جمهورية السودان على ضفاف النيل[1].

في القرن الخامس هجري أطلق البكري كلمة السودان على غرب إفريقيا الممتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان ، وعلى العموم سميت بلاد السودان نسبة إلى الشعوب التي سكنت جنوب الصحراء الكبرى وهي المنطقة الجغرافية الواسعة التي تمتد بين الصحراء الكبرى في الشمال والغابات الإستوائية في الجنوب حيث استوحي أصل التسمية من لون البشرة المميز للسكان[2]، حيث تبلغ مساحة السودان الغربي 2،4 مليون ميل مربع واكتفى المؤرخون و العلماء العرب بذكر بلاد السودان فقط ويعنون به بلاد السودان الغربي، فكتاب حدود العالم وضحت فيه الحدود الجغرافية كالتالي تحدها الصحاري من جهاتها الثلاث الشرقية و الجنوبية و الشمالية ومن الغرب بحر الإقيانوس المغربي (المحيط الأطلسي)[3].

العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل:

من خلال الحديث عن العلاقات الحضارية بين القبائل المقيمة بالصحراء يدفعنا أولا إلى الخوض في أصل تلك القبائل فهل هي مقيمة وأصلية أم وافده؟.

تعتبر القبائل بين ضفتي الصحراء مزيجا بين مختلف الشعوب وقد يعود ذلك إلى النشاط الكبير لحركات الهجرة بمختلف أنواعها ومن مختلف بقاع العالم خاصة

[1] قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي بين القرنين 9و10هـ دراسة في الدوافع و النتائج، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار ،كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ، ص: 11.

[2] مولاي محمد، المرجع نفسه، ص: 41.

[3] تقي الدين الدوري، خولة شاكر الدجيلي: تاريخ المسلمين في افريقيا، دار الكتاب الوطنية، أبو ظبي، 2014، ص: 222،

تلك الوافدة من المشرق ممثلة في القبائل العربية أو المهاجرة إلى الضفة الشمالية من الصحراء وقد يكون أحيانا عكس ذلك، فالدراسات التي تعنى بالمنطقة كلها تعود إلى أن هذا التناغم مردة إلى الحركة العلمية و التجارية بين القبائل من خلال القوافل التي رسمت في تلك الفترة بيانات جغرافية جد إستراتيجية تنم عن مدى قوة النشاط الفكري والاقتصادي الذي عرفت به العلاقات بين ضفتي الصحراء.

مناطق بلاد السودان[1]:

1. السودان الشرقي (في التاريخ الحديث سمى السودان الانجليزي نسبة إلى الاستعمار)[2].
2. السودان الأوسط.
3. السودان الغربي.(في التاريخ الحديث سمي السودان الفرنسي نسبة إلى الاستعمار)[3]

السكان: يعود أصل السكان في بلاد الساحل إلى العرب أو البربر أو الأصول الزنجية، عن طريق الهجرات المتعددة حيث اندمجت بالمصاهرة و الحماية القبلية ومنها[4]:

قبائل الماندي (الماندجو): تنتشر هذه القبائل في منطقة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي حتى النيجر حيث تتفرع إلى عدة فروع منها السوننك والبمبارة.

[1] المرجع نفسه، ص: 41.

[2] جميلة موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي (من القرن الثالث إلى الخامس هجري)، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002/2001، ص:33.

[3] المرجع نفسه، ص:33.

[4] المرجع نفسه، ص: 43.

السوننك هي قبائل كثرة الانتشار في بلاد الساحل، اختلطوا مع قبائل الفلان وهم يتميزون بقوة جسمانية كبيرة، اعتنقو الإسلام وأصبحوا دعاة بسبب عقيدتهم الاسلامية[1].

البمبارة هي من قبائل الماندي بحيث عرفت بنيتهم الجسمية عدة تغيرات في الملامح، يشتغلو في الرعي والزراعة[2].

قبائل السنغاي: تمتد مساكنهم على طول نهر النيجروتسكن قرب حدود الغابات الاستوائية يشتغلون في الزراعة تبعد مدينتهم التي تأسست في القرن السابع ميلادي حيث تبعد عن مدينة قاو بخمسين كلم،انتشر الإسلام في بلاد السنغاي ويتمركز معظمهم في مالي والنيجر ونيجيريا حيث امتزجو مع القبائل المهاجرة من الشمال الإفريقي ومعظمهم يتحدثون لغة السنغاي التي كانت تكتب حروفها بالعربية[3].

قبائل الولوف: تتواجد هذه القبائل بالسنغال رفقة قبائل التكرور، تمارس النشاط الزراعي والحرف الأخرى المختلفة دخلوا الإسلام في وقت مبكر، يتكلمون لغة الولوف وتكتب بالحرف العربي[4].

القبائل العربية: لم تشكل الصحراء عائقا أمام القبائل العربية الوافدة إلى غرب افريقيا نظرا لتشابه الطبيعة الجغرافية وتعودهم عليها حيث عبروها عبر الصحراء الكبرى قادمين من شمال إفريقيا واختلطوا بالقبائل* المتواجدة هناك عن طريق المصاهرة والتجارة، حيث ذكر البكري أقواما منهم تسمى الهينيين قائلا: ببلادنا قوم يسمون بالهينيين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية قد انقذوه في صدر الإسلام، ...هم على

[1] إبراهيم علي طرخان، الإسلام و اللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1969 ، ص: 52.

[2] مولاي محمد، مرجع سابق، ص:43.

[3] المرجع نفسه، ص:44.

[4] عبد القادر مصطفى المحبشي، عبد العباس فضيح الغريري، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، دار الجماهير للنشر والتوزيع، ليبيا، ط 2000، ص:194.

دين أهل غانا إلا أنهم لاينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه))[1].

قبائل الطوارق: اختلف المؤرخون كثيرا في معرفة أصل الطوارق فمنهم من يعيدهم إلى أصل طارق بن زياد، ومنهم من يرى أن التسمية أطلقتها عليهم الشعوب نظرا لتجوالهم في الصحراء وعدم استقرارهم أما الأصول فيعيدها البعض من مؤرخين إلى قبائل صنهاجة ، وحسب المؤرخين فإنهم أدو دورا مهما في نشر الإسلام في الصحراء وبلاد الساحل الإفريقي وعرفو بالقوة والشجاعة، وكان لهم دورا مهما في التجارة الصحراوية بين بلاد المغرب وبلاد الساحل الإفريقي[2]، وهم يشغلون نصف الصحراء تقريبا وينقسمون إلى أربعة أقسام سياسية هي [3]:

1. قبائل أزقر،في الشمال الشرقي.
2. قبائل حجاز في الشمال الغربي .
3. قبائل إيراواسين.
4. قبائل أوليدن في الجنوب الغربي ، بعضها جبلي يلقب ببلاد أدرار ، وبعضه سهل.

كان للهجرات التي قامت بها القبائل ذات الأصول العربية و الوافدة من المغرب بالخصوص زو السودان الشرقي وباقي المناطق الشملية على فترات متعاقبة

[1] أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، القاهرة ،دار الكتاب الإسلامي، ص: 179.

*العديد من القبائل السودانية أي المقيمة في غرب افريقية تفتخر اليوم بنسبها العربي وهي موزعة بين السينغال ومالي و النيجر ناهيك عنتلك التي انصهرت في بقية المجتمع ومن أهمها : تبرازة- بركنة – أولاد دليم – الرقيبات – المشطوف – جرجنكة – الكونتة – البرابيش – الأنصار – أولاد سليمان – اهل أروان – أولاد أعيش – الفولانيين – أهل تارودينى – السكاكنة – اولاذ غلان – أفوغاس الحساونة – أولاد يعقوب .(انظر : ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 ، ص 19.)

[2] مولاي محمد، مرجع سابق ، ص:40.

[3] تقي الدين الدوري، خولة شاكر الدجيلي: مرجع سابق، ص: 226.

تعاقب الحقب الاستعمارية التي توالت منذ عهد الرومان والوندال وصولا إلى عهد الفتوحات، حيث لعبت هاته العلاقات الدور الأساسي في تنمية العلاقات الاجتماعية التي كان أساسها المصاهرة بين القبائل الأصلية و الوافدة ، فسكان غانا البيض اختلطت دمائهم مع قبائل التكرور الممتدة إلى السنغال حيث تتألف في الأصل من شعوب ثلاث وهم التوكولور يشكلون الطبقة الحاكمة، الولوف و السيرير[1]، حيث شكلو مصاهرات وزواج مع الطبقة الحاكمة بعد سقوط دولتهم إلى غاية القرن الحادي عشر ميلادي أين استطاعوا التحرر منهم و أصبح الغانيون البيض أفارقة يعرفون بالقبائل الفلانية حاليا. البيض الغانية .

علاقات العرب القدامى مع السودان الغربي: تعتبر العلاقات قديمة قدم التاريخ الحافل بالعديد من المعاملات التجارية التي قامت بها القوافل التجارية آن ذاك في ظل وفرة الذهب فيها، أما البربر فكانو على اتصال منذ القديم أي قبل الفتوحات يجمعهم التعاون أحيانا و التنافر أحيانا حيث سلكت كل القوافل التجارية طريقان ساحلي وصحراوي [2].

الطريق الساحلي : يمر من خلال حوض نهر السينيغال، سلكه المرابطون .

الطريق التجاري: يبدأ من افريقيا الشمالية متجها نحو الجنوب من خلال واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في السودان و أهمها في المغرب العربي في العصور الوسطى كانت القيروان وتونس وطرابلس أما في غرب افريقيا فاشتهرت مدن غانا ومالي و جني و تمبكتو و كانو.

كانت التجارة من خلال هذا الطريق الرئيسي تسلك ثلاث معابر رئيسية:

- الطريق من مراكش إلى منحنى نهر النيجر و المناطق الواقعة جنوبا .

[1] تقي الدين الدوري، خولة شاكر الدجيلي: مرجع سابق، ص: 229.
[2] تقي الدين الدوري، خولة شاكر الدجيلي: مرجع سابق، ص: 230.

- الطريق من تونس إلى المنطقة الواقعة بين نهر النيجر و بحيرة تشاد.
- الطريق من طرابلس إلى المنطقة المحيطة ببحيرة شاد.

دور الإسلام في نشر الإشعاع العلمي و الثقافي: جاء الإسلام في القرن التاسع عشر إلى القارة الإفريقية بفضل التجار العرب و البربر ، حيث كان للعلاقات بين الريف و الحضر أثرها الهام في حيوية الإسلام في غرب إفريقيا وتوسع الإسلام بفضل الانتصارات العسكرية للدول السابقة على الإسلام حيث تطور ونما الفكر الجهادي بفعل الموجات المتلاحقة من المهاجرين القادمين من شبه الجزيرة العربية مما دفع إلى تشكل دولة قوية تمتد من القرن الإفريقي وامتدت جنوبا بطول ساحل المحيط الهندي ، فانتشر الإسلام بفضل الزيجات المختلطة [1]، في نفس الفترة أصبح السكان في رحلات وسفر للبحث عن التعليم واستقبلوا معلمين من مختلف مناطق الهجرة قصد الحصول على مزيد من التعليم وما ميز إفريقيا جنوب الصحراء هو أنها تجمعات مختلفة وليست كل موحد.

دور المرأة الإفريقية في نشر الدين و المعرفة: امتاز القرن التاسع عشر ببزوغ العديد من العالمات والزعيمات المسلمات اللائي اتهمينا بالبحث أمثال نانا أسماؤو (1793-1864م) الكاتبة و الشاعرة والمدرسة بلغة الهاوسا ، ابنة عثمان دان فوديوا الذي أدى جهاده إلى تأسيس خلافة سوكوتو في شمال نيجيريا ، و في مناطق أخرى من غرب إفريقيا برزت زعيمات روحيات الشيخة خديجة في موريتانيا وفي نيجيريا كانت عائشة وصفية عمر فلكه وحجية إيا و أمة وماكارانتا، دون اغفال النماذج النسائية التي كانت في شرق إفريقيا منهن موانا كوبونا في كينيا، الشيخة موتونو بنت علي بن يوسف و التي حصلت على شهادة الإجازة في زنزبار و أدخلت الطريقة القادرية إلى مالاوي في عشرينيات القرن العشرين .

[1] أليس هورنر، إفريقيا جنوب الصحراء القرن 19 و20، ص: 290م

مملكة مالي ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا: بعد أن أغار ملك صوصو على مملكة غانا عدة مرات نجح في إسقاطها سنة 1240م واستولى على العاصمة أوكار حيث مهد بطريقة غير مباشرة لقيام دولة مالي التي قامت بدور بارز في نشر الإسلام حيث تتركز أهمية هذه المملكة في أمرين بارزين ساهما في نشر الإسلام في كثير من بلاد إفريقيا الغربية وهما [1]:

عدم صد المملكة رعاياها عن اعتناق الإسلام و ترك الحرية لهم من أجل ممارسة الشعائر الدينية ومنح المسلمين بعض الامتيازات التي لايتمتع بها الوثنيون الذين كانو على دين الملك.

يذهب العديد من المؤرخين إلى أن حكام المملكة هم الأصل للشعب الفولاني الذي قام بدور كبير في نشر الإسلام و الثقافات العربية في كثير من بلاد إفريقيا الغربية.

في ختام الدراسة يمكن القول أنه ترتب عن التمازج الحضاري بين قبائل العرب وقبائل غرب إفريقيا تناغم الثقافة العربية مع الثقافات المتعددة للشعوب الإفريقية مما أسفر عن بروز ثقافة عربية افريقية واضحة المعالم تنبني على العديد من المقومات التاريخية التي تمتد عبر جذور الاستعمار والهجرات و الرحلات وغيرها من الدوافع المختلفة التي كانت سببا في بناء المستقبل السياسي والاجتماعي لشعوب إفريقيا، وما ميز الوجود العربي في إفريقيا هو حفاظ الأفارقة على جميع المقومات الثقافية لحضارتهم دون المساس بها، بل حصل اندماج صحي تمخض عنه بقاء اللغات واللهجات الإفريقية .

[1] عبد الصمد عبد الله محمد، الشعر العربي في غربي إفريقيا منذ الاستعمار السينيغال ونيجيريا ، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،بدون سنة ، ص:26.

المراجع:

1. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، دار الغرب الإسلامي ،ط2، 1983.
2. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب،1983.
3. أعشى مصطفى، نماذج من التواصل الحضاري بين شمال إفريقيا و الصحراء الكبرى خلال عصور ماقبل التاريخ، معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس ،الرباط.
4. حليمي عبد القادر، جغرافيا الجزائر (طبيعية ،اقتصادية،بشرية)،ط1،الجزائر،1968 .
5. تقي الدين الدوري، خولة شاكر الدجيلي: تاريخ المسلمين في إفريقيا، دار الكتاب الوطنية، أبو ظبي، 2014، .
6. إبراهيم علي طرخان، الإسلام و اللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1969.
7. عبد القادر مصطفى المحبشي، عبد العباس فضيح الغريري، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، دار الجماهير للنشر والتوزيع، ليبيا، ط 2000.
8. أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، القاهرة ،دار الكتاب الإسلامي.

المراجع الأجنبية:

9. Pottier René, sahara, France, 1950.

الرسائل الجامعية:

10. مولاي محمد، العلاقات العلمية بن توات وبلاد الساحل الإفريقي (خلال القرنين 11-12هـ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية ،قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة السانيا وهران 2014/2013م .
11. قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي بين القرنين 9و10هـ دراسة في الدوافع و النتائج، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.
12. جميلة موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي (من القرن الثالث إلى الخامس هجري)، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002/2001.
13. عبد الصمد عبد الله محمد، الشعر العربي في غربي إفريقيا منذ الاستعمار السينيغال ونيجيريا، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ،بدون سنة .